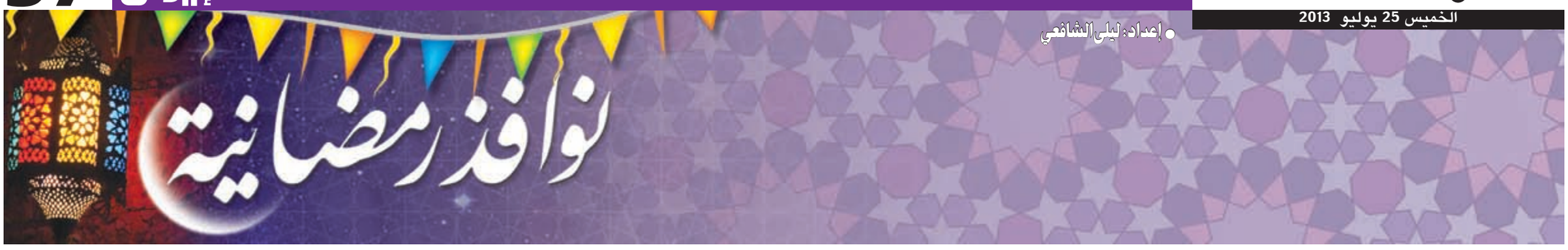

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

شيخ في المرقص .. تخيلوا!

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: كان في حارتنا مسجد صغير يؤم الناس فيه شيخ كبير في السن، وذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين وقال لهم: ما بال أكثر الناس خاصة الشباب لا يقربون المسجد ولا يعرفونه؟، فأجابه المصلون: انهم في المراقص والملاهي، قال الشيخ: ما المراقص والملاهي؟

فرد عليه أحد المصلين وقال: المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات عاريات أو شبه عاريات يرقصن والناس حولهن ينظرون اليهن.

قال الشيخ: والذين ينظرون اليهن من المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: لا حول ولا قوة الا بالله، يجب ان نصح الناس، قالوا له: يا شيخ أتعظ الناس وتنصحهم في المرقص؟ فقال: نعم، هيا بنا الى تلك المراقص.

فحاولوا أن يثنوه عن عزمه وأخبروه انهم سيواجهون بالسخرية والاستهزاء وسينالهم الأذى، فقال: وهل نحن خير من محمد ﷺ؟ وأمسك الشيخ بيد أحد المصلين ليدله على المرقص، وعندما وصلوا اليه سألهم صاحب المرقص: ماذا تريدون؟

قال الشيخ: نريد أن ننصح من في المرقص، تعجب صاحب المرقص وأخذ يمعن النظر فيهم ورفض السماح لهم، فأخذوا يساومونه ليأذن لهم حتى دفعوا له مبلغا من المال يعادل دخله اليومي، فوافق صاحب المرقص وطلب منهم ان يحضروا في الغد عند بدأ العرض اليومي.

قال الشاب: فلما كان الغد كنت موجودا في المرقص، فبدأ الرقص من احدى الفتيات فلما انتهت، أسدل الستار، ثم فتح فإذا بشيخ وقور يجلس على كرسي، فبدأ بالبسملة والحمد لله والثناء عليه وصلى على الرسول ﷺ ثم بدأ في وعظ الناس الذين أخذتهم الدهشة، وتمالكهم العجب، وظنوا أن ما يرونه هو فقرة فكاهية، فلما عرفوا أنهم أمام شيخ يعظهم، أخذوا يسخرون منه ويرفعون أصواتهم بالضحك، والاستهزاء وهو لا يبالي بهم، واستمر في نصحه ووعظه حتى قام أحد الحضور وأسكت الناس وطلب منهم الانصات لما يريد قوله ذلك الشيخ، فبدأ السكون والهدوء يخيم على أنحاء المرقص، حتى أصبحنا لا نسمع الا صوت الشيخ، فقال كلاما ما سمعناه من قبل، تلى علينا من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية وقصصا لتوبة بعض الصالحين.

وكان مما قاله: «يا أيها الناس انكم عشتم طويلا وعصيتم الله كثيرا، فأين ذهبت لذة المعصية؟ لقد ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء، ستسألون عنها يوم القيامة، وسيأتي يوم يهلك فيه كل شيء الا الله سبحانه وتعالى، يا أيها الناس هل نظرتم الى أعمالكم وإلى أين ستؤدي بكم؟ انكم لا تتحملون النار في الدنيا وهي جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، فبادروا بالتوبة قبل فوات الأوان».

فبكى الناس جميعا، وخرج الشيخ من المرقص وخرج الجميع وراءه، وكانت توبتهم وتوبتي أيضا على يد ذلك الشيخ، حتى صاحب المرقص، تاب وندم على ما كان منه.

الرجال مواقف

العابد الباكي.. عبدالله بن عمرو بن العاص

هو الإمام الحبر العابد، عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أسلم قبل أبيه، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علما جما، وهاجر بعد سنة سبع، وشهد بعض المغازي، وكتب الكثير بإذن النبي ﷺ وترخيصه له في الكتابة.

وعن فضائله رضي الله عنه ما ترويه لنا كتب التاريخ الاسلامي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «نعم أهل البيت أبو عبدالله، وأم عبدالله، وعبدالله».

وفي رواية: عمرو بن العاص من صالحي قريش ونعم أهل البيت أبو عبدالله وأم عبدالله وعبدالله.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كنت يوما مع رسول الله ﷺ في بيته فقال: «هل تدري من معنا في البيت؟» قلت: من يا رسول الله؟ قال: «جبريل عليه السلام»، قلت: السلام عليك يا جبريل ورحمة الله، فقال رسول الله ﷺ: «انه قد رد عليك السلام».

نموذج فريد للعبادة

كما كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنموذجا للتعبد الخالص فعنه قال: زوّجني أبي امرأة من قريش فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصلاة والصوم، فجاء عمرو بن العاص ـ أبوه ـ كنته حتى دخل عليها فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا.

فأقبل عليّ فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت؟ قال: ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني.

فأرسل إلي النبي ﷺ فأتيته فقال لي: «أتصوم النهار؟»، قلت: نعم. قال: «وتقوم الليل؟»، قلت: نعم، قال: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقال: «اقرأ القرآن في كل شهر».

قلت: إني أجدني أقوى من ذلك.

قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام».

قلت: إني أجدني أقوى من ذلك.

قال: «فاقرأه في كل ثلاث».

ثم قال: «صم في كل شهر ثلاثة أيام»، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفقني حتى قال: «صم يوما وأفطر يوما فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود».

قال حصين في حديثه: ثم قال ﷺ: عن عبدالله بن عمرو، قال: «فإن لكل عابد شرة، ولكل شرة فترة، فإما إلى سنة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

قال الإمام الذهبي رحمه الله: فأقل مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلا في أقل من ذلك.

وهذا السيد العابد الصاحب ـ أي عبدالله بن عمرو ـ كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ.

وعن عبدالله بن عمرو، قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبدالله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم».

قلت: في الرضا والغضب؟ قال: «نعم فإني لا أقول إلا حقا».

وعن يعلي بن عطاء عن أبيه قال: كنت أصنع الكحل لعبدالله بن عمرو، وكان يطفئ السراج بالليل، ثم يبكي حتى رسعت عيناه، (أي تغيرتا وفسدتا، والتصقت أجفانهما).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: لأن ادمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

«ليتني مت قبلها»

وفي إحدى المناسبات، شكا عمرو بن العاص ولده عبدالله لرسول الله ﷺ: فقال ﷺ لعبدالله: «أطع أباك مادام حيا».

وانتقل النبي ﷺ الى جوار ربه، ودارت عجلة الزمن ولما نشب القتال في صفين كان عبدالله بن عمرو، مع أبيه في جيش معاوية رضي الله عنه، وشهد القتال ولم يضرب بسيف ولم يرم بسهم، فقال له معاوية: «فما بالك معنا»؟ قال: «إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطع أباك مادام حيا» فأنا معكم، ولست أقاتل.

ورغم هذا كان يقول: «مالي ولصفين؟ مالي ولقتال المسلمين؟ لوددت أني مت قبلها بعشرين سنة أو قال بعشر سنين أما والله على ذلك ما ضربت بسيف، ولا رميت بسهم».

وعن عبيد بن سعيد أنه دخل مع عبدالله بن عمرو المسجد الحرام، والكعبة محترقة حين أدبر جيش حصين بن نمير والكعبة تتناثر حجارتها، فوقف وبكى حتى إني لأنظر إلى دموعه تسيل على وجنته.

فقال: أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم، ومحرقو بيت ربكم، لقلتم: ما أحد أكذب من أبي هريرة، فقد فعلتم، فانتظروا نقمة الله فليلبسنكم شيعا، ويذيق بعضكم بأس بعض.

وعن وفاته رضي الله عنه قال يحيى بن بكير: توفي عبدالله بن عمرو بمصر، ودفن بداره الصغيرة سنة خمس وستين.

كنت واقفا بباب مروان حين أتي بالأكدر، وكان قتل الأكدر للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستين، ويومئذ توفي عبدالله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لتشغيب الجند على مروان فدفن في داره، رضي الله عنه وأرضاه.

روائع القصص

من حال إلى حال

روي أن رجلا من قبيلة عبس كان مشوه الوجه، مكفوف البصر، رث الثياب، وفي يوم من الأيام جاء الى دار الخلافة فرآه رجل هناك كان يعرف قصته فلما دخل من الباب قام اليه وأخذ بيده وأجلسه في مجلس قريبا من الخليفة، فتعجب الخليفة عبدالملك بن مروان من فعل ذلك الرجل، فأدرك الرجل ما في نفس الخليفة من سؤال فقال: يا أمير المؤمنين، ان لهذا الرجل العبسي قصة غريبة فاسمح له أن يحكي لك عن قصته، وكان الخليفة عبدالملك بن مروان ولعا بعيون الأخبار شغوفا بالحكايا، فسأل الرجل عن حاله.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، كنت من أغنى أهل المدينة وكنت من أكثرهم مالا، ومن أعزهم عيالا، وأنعمهم بالا، وكنت ذا حسب ونسب، فخرجت يوما بمالي وأهلي لأضرب في أرض الله تعالى بقصد التجارة والربح رغبة بالثراء، وطمعا في السعة، فبينما أنا في طريقي الى الشام اذ أدركني الليل، فآويت الى واد بين جبلين لأبيت فيه مع أهلي وأولادي فبينما نحن نائمون، اذ هبط علينا سيل شديد من أعلى الجبل فلم أستيقظ من نومي إلا وقد غرق أهلي وأولادي مالي، ولم يبق من أولادي إلا اصغرهم، ولم يبق من بعيري سوى بعير واحد فقمت من فوري وحملت الطفل على كتفي ورحت الى البعير لأنظر شأنه، فلما رآني قربيا منه ولّى مدبرا، وضعت الطفل عن كتفي على ربوة قريبة وعدوت خلف البعير لأرده فركضني برجله في وجهي فهشم أنفي وكسر أسناني فقمت خلفه مرة أخرى فاذ به يرفسني في وجهي ويفقأ عيوني فلم أستطع أن أواصل العدو خلفه، عدت حزينا أتلمس طفلي الصغير حيث وضعته فلما دنوت منه واذ به لقمة سائغة بفم ذئب جائع ولم أدركه حتى أكله الذئب، ففي ليلة واحدة يا أمير المؤمنين فقدت أهلي وسبعا من أولادي وبعيري ومالي، وأمسيت من أعز الناس وأغناهم وأصبحت أنا من أذلهم وأفقرهم وأضعفهم.

ذنوب كبيرة

آكل الربا

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون)، وقال تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه (ذلك) أي ذلك الذي أصابهم (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أي حلالا، فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع، كلما قام صُرع، لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

وقال قتادة: إن آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونا، وذلك علم لأكله الربا يعرفهم به أهل الموقف.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما أسري بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، قد مالت بهم بطونهم، منضدين على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا، قال: فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم ال فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة» قال ﷺ: «فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس».

من التراث

فصاحة صبي

لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أتته الوفود، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر الى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال:ليتكلم من هو أسن منك فإنه أحق بالكلام منك، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق منك، قال:

صدقت، تكلم، فقال يا أمير المؤمنين إنا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك، ما قدمنا عليك برغبة منا ولا رهبة منك، أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة، فقد أمنا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسلام، فقال عمر رضي الله عنه: عظني يا غلام، قال: يا أمير المؤمنين: إن أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه، فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم:

(ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون)، فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة، فأنشدهم عمر رضي الله عنه:

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده
صغيرا إذا التفت عليه المحافل

غزوات الرسول

غزوة بدر الكبرى

رؤيا جُهيم بن الصلت بن المطلب

بقلم: سيد الرفاعي

تجهز الناس سراعا وخرجت قريش كلها فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبا لهب، وقرر أمية بن خلف القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر ـ عود يتبخر به ـ حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء، قال: قبحك الله وقبح ما جئت به. ثم تجهز فخرج مع الناس.

فخرجوا سراعا وعددهم 950 رجلا معهم قرابة 100 فرس عليها 100 دارع سوى دروع المشاة. ومعهم القينيات يضربن بالدفوف.

وقف رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه وهو على بعد ميل من المدينة وكان عددهم حسب أصح الروايات 313 مجاهدا، وفرح النبي ﷺ بهذا الرقم. وقال: «عدة أصحاب طالوت الذين جاؤوا معه النهر» منهم 77 رجلا من المهاجرين و236 رجلا من الأنصار. معهم 70 بعيرا و60 درعا، وفرسان، واحدة مع الزبير بن العوام، والأخرى مع المقداد بن الأسود ولبس النبي ﷺ درعه (ذات الفضول)، وتقلد سيفه (العصب) وقال ﷺ بعد ان نظر الى صحابته رضوان الله عليهم: «اللهم إنهم حفاة عراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك» ثم قال ﷺ: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم» وأقبلت قريش، فلما نزلوا في الجحفة، رأى جُهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقام فزعا فقال لمن حوله: هل رأيتم الفارس الذي وقف علي؟! فقالوا: لا!

قال: وقف علي فارس فقال: قُتل أبوجهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبوالبختري وأمية بن خلف.. وفلان وفلان.. وعدد رجالا من أشراف قريش ممن قُتل يوم بدر، وقال: أُسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان.. وعد رجالا ممن أُسر، ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبّة بعيره ـ أي منخره ـ ثم أرسله في العسكر، فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه.

فقالوا له: إنما لعب بك الشيطان، ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت أبا جهل قال: قد جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من يُقتل، نحن أو محمد وأصحابه.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «هذا مصرع فلان إن شاء الله غدا، ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان ههنا، وهذا مصرع فلان ههنا» قال أنس رضي الله عنه: «ما ماط أحدهم عن موضع يده ﷺ» أي ما تنحى أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

● الشيخ سيد الرفاعي